

الرجز وتطوره حتى العصر الأموي: دراسة تحليلية (Development of *Rajaz* till the Umayyad Era: An Analytical Study)

* محمد ظاهر شاه

Abstract

Rajaz, a breed of *saj'* "rhymed prose" is an ancient meter in the Arabic Poetry, which is common in didactic poems. The proper meaning of the word is "tremor, spasm, convulsion (as may occur in the behind of a camel when it wants to rise)". The Arab poets had concentrated on this form of poetry since Pre-Islamic epoch. It is not clear how this word became a technical term in prosody. The grammatical and lexical irregularities and oddities found outside of rhyme in the *rajaz* verses has made it a favourite mine of *shawḥ hid* "evidentiary verses" for lexicographers and grammarians. In this article an attempt has been made to briefly study the etymology, history and the importance of *rajaz* in pre-Islamic, Islamic and Umayyad eras. Motives of development of *rajaz* in these ages have also been highlighted.

مما لا مرء فيه أن الرجز من البحور القديمة في الشعر العربي تولد من السجع مرتبطا بالحاء ووقع أخفاف الإبل في أثناء سيرها في الصحراء , وهو كان أكثر أوزان الشعر شيوعا في الجاهلية , إذ كانوا يرتحلونه في كل حركة من حركاتهم وكل عمل من أعمالهم في السلم والحرب , وهي كثرة تؤكد أنه كان الوزن الشعبي الذي يدور على كل لسان .

تطور هذا الوزن في العصر الأموي تطورا لا مثيل له حتى شُبه بالقصيد وساهم في تطويره كثير من الشعراء والرجاز وأبرزهم الأغلب والعجاج وابنه رؤبة اللذان انتهت إليهما صناعة الرجز , فنظرا لأهمية هذا الوزن الشعبي تاريخيا وتطوره في العصور المنصرمة لذا حاولت القيام بتعريفه وتاريخه وتطوره وأسباب إلمام الشعراء والرجاز به في هذا المقال .

* محاضر بمعهد الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة بشاور

1 المرجز لغة

قال خليل بن أحمد الفراهيدي : الرجز مصدر من رَجَزَ يَرْجُزُ وَيَرْجُزُ والأراجيز جمع أرجوزة والرجز النعل¹ ويقول الزمخشري : رَجَزَ الشاعر يَرْجُزُ وهو راجز ورجّاز ورجازة ومن المجاز ارتجز الرعد إذا تدارك صوته كارتجاز الراجز² ويقول الزبيدي : الرَّجَزُ محرّكة داء يصيب الإبل في أعجازها والرّجّازة بالكسر مركب النساء وهو اصغر الهودج جمعه رجائز أو كساء فيه حجر يعلق بأحد جانبي الهودج ليعد له إذا مال وسمي بذلك لاضطراب وأصل الرجز الاضطراب وتتابع الحركات³ وفي الحقيقة مادة (الراء والجيم والزاء) اصل يدل على اضطراب فإذا ثارت الناقة ارتعشت فحذاها ومن هذا الاشتقاق الرجز من الشعر لأنه مقطوع مضطرب⁴ الأرجوزة للواحدة , والجمع أراجيز وقائله رجّاز ورجّازة وراجز , رجز الراجز رجزا , وارتجز الراجز ارتجّازا :قال أرجوزة , تراجزوا وارتجّزوا : تعاطوا بينهم الرجز⁵ وعن الأخفش قال: سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لم سميت الطويل طويلا؟ قال لأنه طال بتمام أجزاءه قلت فالرجز ؟ قال لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام⁶

1 المرجز اصطلاحا

قال ابن منظور نقلا عن ابن سيده : الرجز شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد وهو وزن سهل في السمع ويقع في النفس⁷ وقال الزبيدي في تعريف الرجز نقلا عن الأخفش : الرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويجدون به⁸ ويقول السكاكي : اصل الرجز (مستفلن ستا) وهو في الاستعمال يسدس تارة على الاصل ويربع مجزوء أخرى ويتلث شطورا ثالثة ويتثنى منهوكا رابعة⁹ ويقول ابن رشيق : قد خص الناس باسم الرجز المشط ور والمنهوك وما جرى مجراها وباسم القصيد ما طالت أبياته وليس كذلك لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطوع¹⁰ ويتضح من هذه الأقوال ان الرجز على قسمين : التام والمختصر والتام ما كانت تفاعيله ستا مثل :

دار لسلمى إذ سلمى جارة قفـر ترى آياتها مثل الـز بر
مستفعـلن مستفعـلن مستفعـلن مستفعـلن مستفعـلن مستفعـلن

والمختصر له ثلاثة أنواع

1 مجزوء الرجز ويربع أي ما كانت تفاعيله أربعا

مثل :

قد هاج قلبي منزل من أم عمر ومقفر مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

2 -مشطور الرجز : ماكانت تفاعيله ثلاثا

مثل:

ماهاج احزاننا وشجوا قد شجا مستفعلن مستفعلن مستفعلن

3 -منهوك الرجز وهو ما بقي البيت منه على تفلعتين مثل :

ياليتني فيه ا ج —ذع¹¹ مستفعلن مستفعلن مستفعلن

لقد صدق الحديث المروي : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها وإن الرجز لمن سفاسف القريض قصرتم أيها نفر فقصر بكم¹² وزعم الخليل أن الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر وقيل ماهما ؟ قال : أنصاف مسجعة فلما رد عليه قال : لأحتجن عليهم بحجة فإن لم يقرأ بها عسفوا فأحتج عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يجري على لسانه الشعر وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاه — لا ويأتيك بالأخبار من لم تزودي

فكان يقول ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزودي بالأخبار

فقد علمنا ان النصف الذي جرى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون شعرا إلا بتمام النصف الثاني على لفظه وعروضه , فالرجز المشطور مثل ذلك النصف وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق :

هل أنت إلا إصبع رميت وفي سبيل الله مالقيت , فهذا على المشطور

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فهذا من المنهوك ولو كان شعرا ماجرى على لسانه فإن الله عزوجل يقول :

“ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ”¹³

لننظرنا إلى كلام الخليل واستدلاله بالأدلة المتنوعة لوجدنا أن الخليل ربما نظر إلى الرجز ب نظرة دينية ولكن في الحقيقة الأمر ليس كذلك وإنما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية لأنه لم يقصد به الشعر ولأنواه فلذلك لا يعد شعرا وإن كان كلامه متزنا¹⁴

3. الرجز في الجاهلية

الرجز نمط من الشعر يتمثل فيه التقيضان : السرعة والبطء , لذا اسعمل في مواقف مختلفة القصد والغاية , وقد جعلته هذه الخصية مركبا مطوعا لمن ركبته من الشعراء و الرجازين¹⁵ لذا لم يهمل شعراء الجاهلية جانب الرجز في عصرهم , فكانوا يستخدمونه في مواقف متعددة الأغراض كما استخدموا القصيد , وكان الرجز هو الغالب عليهم في الحداء , إذ كانوا يحدون الإبل أثناء سراها ليلا بأراجيز وأشعار,و ذلك حين ينتشر ظلام الليل ويرخي سدوله على الكون كله ويعمهم السكون حينئذ يعمد الساري في الصحراء إلى شطور من الرجز يجد فيها شيئا من المتعة و النشاط حتى لاتضعف منته وقوته كأنما كان الجاهلي يوقع رجزحدائه على حركة بعيره ووقع أقدامه في الصحراء , وهو حداء شعبي نجده في كل مكان وعلى كل لسان .

ويزعم العرب أن أول من قال الرجز مضر بن نزار حين سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول : وايداه وايداه , وكان من أحسن خلق الله صوتا فأصغت الإبل إليه وحدثت في السير فقطعوا على هذا الوزن لحن الحداء وسموه الرجز¹⁶ ويذكر الدكتور شوقي ضيف مواطن استخدام الرجز فيقول :وكانوا يستخدمونه في حروبهم , فلا يصول ويجول في ميدان جاهلي إلا وهو ينشد بعض الرجز أو بعض الشعر مستعينا بذلك على الحركة والنشاط , وأمامنا حروبهم كحرب البسوس بين بكر وتغلب وكحرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان فإننا لانكاد نرى أحدا يقبل على القتال إلا وهو يقول أشعارا رجزا وغير رجز ودائما الرجز هو الغالب , وبالمثل كانوا يصنعون ذلك حين كانوا يحفرون بئرا , من ذلك : حفر بئر عبد شمس بئرين سماهما خما ورما وفي ذلك يقول :

حفرت خما وحفرت رما حتى أرى المعجد لنا قـد تما

وحفر قصي جد الرسول صلى الله عليه وسلم بئرا سماها العجول وفي ذلك يقول أحد الرجاز :

نروي على العجول ثم ننطلق قبل ص—دور الحاج من كل أفق
إن قصيا قد وافي وقد صدق بالشـبع للناس وريّ م—غتبق

وماشتهر عن نساء الجاهلية من ترقيصهن للأطفالهن تدليلا لهم ولعبا معهم ومعابثة , من ذلك قول أم الفضل ترقص ابنها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب :

ثكلت نفسي وثكلت بكـري إن لم يسد فهـرا وغير فهـري
بالحسب العـدّ وبذل الوفر حتى يحارى في ضـريح القبر¹⁷

4 المرجز بعد بزوغ فجر الإسلام

لما جاء الإسلام لم يفقد الرجز شهرته بل كثر وازداد , وكانت له سوق رائجة , ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة الحروب والوقائع بين المسلمين وغيرهم من العرب واليهود , حتى أنه جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم منهوك الرجز ومشطوره — كما مرسالفًا — وفي كتب التاريخ حشد كبير من الأراجيز التي قالها الصحابة رضوان الله عليهم عند اقتحامهم ميادين القتال , من ذلك ماروي عن ابن جرير أن عمير ا- رضي الله عنه — قاتل يوم بدر وهو يقول :

ركضا إلى الله بـغ—ير زاد إلا التقى وع—مل المع—اد
والص—بر في الله على الجهاد وكل زاد ع—رضة النف—اد
غ—ير التقى والبر والـرشاد¹⁸

وكذلك ماروي عن ابن اسحاق أن أبا دجانة الصحابي — رضي الله عنه — لما أخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بدأ يرتجز :

أنا الذي عاه—دني خ—ليلي ونح—ن بالسفح لدى النخ—يل
أن لا أقوم الده—ر في الكيول أض—رب بسيف الله والرسول¹⁹

وروي عن ابن اسحاق أيضا أرجوزة عاصم بن ثابت الصحابي في غزوة الرجيع يقول:

م—اع—لتي وأنا ج—لد نابل والقوس فيه—ا وتو ع—نابل
تزل ع—ن صفحتها المع—ابل الموت ح—ق والحياة باط—ل

وكل مـــــــــــــــــاحم الإله نازل بالـــــــــــــــــمـــــــــــــــــرء والمـــــــــــــــــرء إليه آيل

إن لم أفاتلكم فأمي هـابل²⁰

5 المرجز في العصر الأموي

وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي نرى أن أمر الرجز ا استفحل وتفاقم وأضحى يستعمل في كل الأغراض الشعرية مثل القصيد , كذلك بدأ الشعراء في هذا العصر يتزايدون في الرجز على الأشطر الثلاثة , إذ كانت العرب قبل ذلك يكتفون في الرجز على ثلاثة أشطر , وإلى ذلك يعود سبب تسميته لأن الرجز في الأصل وقوف الناقة على ثلاث إذا شدت إحدى يديها .

يقول ابن قتيبة : وكان الأغلب جاهليا إسلاميا وقتل بنهاوند وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاجر²¹

و إلى ذلك أشار الدكتور شوقي ضيف قائلا : إن وزن الرجز كان مح دودا في العصر الجاهلي فهو لا يكاد ينظم إلا شطورا قليلة , وهي شطور كانت تقال في الحركة السريعة في الحرب أو في الحداء أو عند المتح من بئر , فلما جاء عصر بني أمية واتسعت معه طاقة هذا الوزن رأينا طائفة من أصحابه يحاولون أن يمدوا أطناب طاقته مدا واسعا , فإذاهم يؤلفون أراجيز طويلة طويلا مسرفا , وإذهم يستخدمونها في كل ما تستخدم فيه القصيدة من نسيب و مديح و فخر و هجاء وعتاب , وذا كنا قد لاحظنا في القصيدة الثأما واتساقا مع الرقي العقلي الذي صادف العرب , والثأما واتساقا أيضا مع نفسياتهم الجديدة التي بثها الإسلام , والثأما واتساقا أيضا مع الظروف السياسية المعاصرة , فإن الأرجوزة قد شاركت في هذا كله²² كذلك نرى أن الرجز أصبح في هذاالعصر لا يؤلف لأجل التعبير عن العواطف فحسب , بل صار معجما لغويا يؤتى فيه بكل أبدة لغوية مسبوقة أو مبتكرة , وبالصياغات غير المألوفة في العربية , بل ألزم بعض الشعراء على أنفسهم صناعة الرجز وتحسينه , فقلما نجده ينشد قصيدة , وذكر الدكتور شوقي أسماء بعضهم يقول : حتى يقصر بعض الشعراء النابهن حياتهم على تجويد هـ وتخبيره ... منهم دكين بن رجاء الفقيمي ودكين بن سعيد الدارمي ومنهم الزريان السعدي , وأبرزهم جميعا العجاج وابنه رؤبة اللذان انتهت إليهما صناعة الرجز²³ أما العجاج فهو أطال الرجز وقصده وهو في الرجاز كإمرئ القيس في الشعراء²⁴ وقال ذو الرمة : قلت الرجز فلما رأيتني لأرفع من الرجلين أخذت في القصيد وتركته يعني العجاج ورؤبة , ومرة قال أبو العتاهية لابن

مناذر : إن كنت أردت ليشعرك العجاج ورؤية فما صنعت شيئاً وإن كنت أردت أهل زمانك فما أخذت مأخذنا²⁵ وقال ابن رشيق نقلاً عن يونس : إن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وقال : إنما هو كلام فأجود كلاماً أشعرهم والعجاج ليس في شعره شيئٌ يستطيع أحد أن يقول²⁶ ويمكن إجمل ماسبق أن الرجز وزن شعبي مرتبط بحياة الشاعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي وتفنن فيه في العصر الأموي وشبّهه بالقصيد من حيث الإطالة والأغراض حتى صار معجماً لغويًا يستشهد به في القواعد النحوية .

الهـ-وامش والمراجع

- 1- كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي, ط: الأولى , انشارات أسوة- قم إيران, 1414. مادة (رجز)
- 2- أساس البلاغة محمد باسل عيون السود ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان 537 هـ. مادة (رجز)
- 3- تاج العروس أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسين , دار الفكر 1414 هـ. مادة (رجز)
- 4- معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس , أحمد بن فارس بن زكريا, مكتب الإعلام الإسلامي 1404. ص: 489
- 5- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور , نشر أدب الجوزة 1405. مادة(رجز)
- 6- العمدة في محاسن الشعر/ الحسن بن رشيق القيرواني. ط: الأخيرة, دار ومكتبة الهلال 1421. ج1, ص: 240
- 7- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور , نشر أدب الجوزة 1405. مادة (رجز)
- 8- مفتاح العلوم :. أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن علي السكاكي : 621هـ, ط: 6 دارالكتب العلمية بيروت لبنان 1407 هـ. ص : 453
- 9- العمدة : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني, ط: الأخيرة , دار ومكتبة الهلال 1421. ج: 1 ص: 305.
- 10- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن علي : 621 هـ, ط: 6 دار الكتب العلمية , بيروت لبنان 1407 هـ. 543-544.
- 11- رسالة الغفران : أبو العلاء المعري ط: الأخيرة دار ومكتبة الهلال 1420 / 200, ص: 37
- 12- كتاب العين مادة (رجز)
- 13- العمدة : 309/1
- 14- العروض تحذييه وإعادة تدوينه : الشيخ جلال الحنفي , ط : الثالثة , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد . ص : 642
- 15- من هامش كتاب " تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات , ط : 24 , فاروقي كتب خانة , د . ت , ص: 29

- ¹⁶ - الشعر وطوابعه الشعبية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ت. ص: 16
- ¹⁷ - البداية والنهاية عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط: الأولى، دار الحديث، القاهرة. : 313 /3
- ¹⁸ - المرجع السابق: 18 /4
- ¹⁹ - المرجع السابق: 67 /4
- ²⁰ - الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421. ص: 442
- ²¹ - التطور والتحديد في الشعر الأموي: شوقي ضيف، ط: السادسة، دارالمعارف، مصر، د.ت. ص: 315
- ²² - تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، ط: السابعة، دار المعارف، مصر، د.ت. 396-395/2
- ²³ - العمدة: 158 /1
- ²⁴ - الموشح: محمد بن عمران بن موسى أبو عبيد الله المرزباني (384 هـ)، ت: علي محمد البحارة، دار الفكر، القاهرة، د.ت. ص: 229
- ²⁵ - الموشح: ص: 299
- ²⁶ - العمدة: 158 /1 وانظر الأغاني: 124 /18